دور آربري في تقديم المعلّقات للأوروبيين

The Role of Arberry in Introducing The Mu‘allaqāt to Europeans

Dr Hafiz Aziz Ur Rehman
Assistant Professor, Department of Translation Studies, The Islamia University of Bahawalpur
Email: hafiz.aziz@iub.edu.pk
Prof. Dr Kafaitullah Hamdani
Professor, Department of Arabic, Punjab University, Lahore
Email: kafait.arabic@pu.edu.pk

ABSTRACT
This article explains how the famous Arabic poems known as “the Mu‘allaqāt” became known in Europe through the work of A. J. Arberry. It shows that Arberry translated these poems and included them in university courses to help students learn Arabic. Because of this educational use, the poems were often treated as language practice texts instead of complete works that carry deep cultural meaning.
The article points out that translation and classroom teaching worked closely together. This partnership influenced how European students understood Arabic poetry. While Arberry made Arabic literature more accessible and introduced many readers to it, some cultural details and deeper meanings did not fully carry over into the English versions.
In conclusion, the article argues that “the Mu‘allaqāt became highly respected in Europe, but they were frequently studied apart from their original Arab cultural background.
Keywords: Mu‘allaqāt; Arthur John Arberry; Arabic Poetry; Translation; European Education

المعلّقات في الثقافة العربية

تُعَدّ المعلّقات من أعظم قصائد الشعر العربي القديم، وتمثّل قمَّة الإبداع في العصر الجاهلي. وقد اختلف العلماء في سبب تسميتها؛ فبعضُهم يرى أنها سُمّيت بذلك لأنها قصائدُ مميزةٌ اخْتِيرتْ لِجمالها وقوَّتها الفنية، بينما يقول آخرون إنها كانت تُعلَّق على جدران الكعبة تقديرًا لها، سواء كان ذلك حدثًا تاريخيًا حقيقيًا أم رمزًا يدلُّ على مكانتها العالية عند العرب.

ولا تقْتَصر أهميةُ المعلّقات على جمال كلماتها وصُوَرها البلاغية فقط، بل إنها تُعد سجلًا حضاريًا يعْكس حياة العرب قبل الإسلام. فهي تصف الصحراء وطبيعة المعيشة، وتوضح العلاقات بين الناس، والحروب بين القبائل. كما تُظهر القيم التي كان المجتمع الجاهلي يعتزُّ بها، مثل الشجاعة، والكرم، والوفاء، وحماية الجار، والدفاع عن القبيلة.

كما أن المعلّقات كانت مصدرًا مهمًا لحفظ اللغة العربية القديمة. فقدْ حفظتْ لنا كلماتٍ أصيلةً وأساليبَ جميلة في الوصف والتشبيه والاستعارة. واعتمد عليها علماء اللغة والنحو بعد ذلك في شرح القواعد والاستشهاد بها. ومن خلال صورها الشعرية نرى كيف كان العربيُّ يلاحظ الطبيعة بدِقَّة، فيَصِف الإبلَ والخيول والليل والصحراء، ويربط ذلك بمشاعر إنسانية عميقة.

وفي الجانب الثقافي، لم يكن الشاعرُ في العصر الجاهلي شاعرًا لنفسه فقط، بل كان يمثِّلُ قبيلتَه ويتحدث باسمها. كان يمدح أمجادها، ويدافع عنها، ويهجو أعداءها، ويحفظ تاريخ انتصاراتها وهزائمها. لذلك ارتبطت المعلّقات بالنظام القبلي ارتباطًا قويًا، وكان لها دورٌ إعلامي واجتماعيٌّ مهمٌّ، لأنها كانت تؤثر في مكانة القبيلة بين القبائل الأخرى، فترفع شأنها أو تضعفه.

كما تُظهر المعلّقاتُ طريقةَ تفكير الإنسان العربي القديم ومشاعرَه. فهي تبدأ غالبًا بالوقوف على الأطلال، أي تُذكّر أماكن الأحبة بعد رحيلهم، وهذا يدل على الحنين للماضي والتفكير في تغيّر الزمن. ثم ينتقل الشاعر إلى وصف رحلته في الصحراء أو الحديث عن الفروسية والشجاعة، وفي النهاية يفتخر بنفْسه أو قبيلتِه، أو يَذكر حكمةً يتعلمها من الحياة. هذا الترتيب يكشف أنَّ حياةَ العربي آنذاكَ كانتْ تقوم على الصراع من أجلِ البقاء، مع وجودِ مشاعر قوية واعتزاز كبير بالنفس.

لذلك يمكنُ القولُ إن المعلّقات ليستْ مجرد قصائدَ جميلة، بل هي صورة واضحة للثقافة العربية قبل الإسلام. كما أنها تساعدنا على فهم تطوّر الشعر العربي، وكيف تشكّلت الهوية الثقافية واللغوية للعرب عبر الزمن.

دخول المعلّقات إلى أوروبا

الاهتمام الأوروبي المبكر بالشعر الجاهلي

دخلتْ المعلّقات إلى أوروبا مع بدايةِ اهتمام الأوروبيين بِدِراسة اللغة العربية، خاصةً في أواخر العصور الوسطى وبداية العصر الحديث. فقد تعلّم بعض الأوروبيين العربية لأسبابٍ مختلفة، منْها: فهمُ النصوص الإسلامية، والقيام بالترجمة، والتواصل مع العالم الإسلامي لأغراضٍ سياسية وعلمية.

وفي هذا الإطار، اهتمَّ الباحثون الأوروبيون بالشعر الجاهلي، وبخاصةٍ المعلّقات، لأنهم رأَوا فيها أقدم نصوص مكتوبة باللغة العربية الفُصحى. لذلك اعتمدوا عليها لتعلُّم قواعد اللغة، وبِنْيتها، ومفرداتها، وَعَدُّوها مصدرًا مُهمًا لفهم أصل العربية وتطوّرها.

لهذا السبب، لم يكنْ تركيز الأوروبيين على الشعر باعتباره فنًا وجمالًا ثقافيًا، بل نظروا إليه كَوَثيقةٍ لغوية مهمة. فقد اعتبروا المعلّقات مثالًا نقيًا لِلُّغة العربية القديمة قبْل أن تَتَأثر بالإسلام والعلوم التي جاءتْ بعده.

ولهذا استُخدمت هذه القصائد في الجامعات الأوروبية كَمَادةٍ تعليمية، يتدرّبُ منْ خلالها الطلاب على قواعد النحو والصرف، ويفهمون معاني الكلمات وطرقِ اشتقاقها. كما كانوا يُقارنون بين اللغة العربية واللغات القديمة مثل اللاتينية واليونانية.

وقد أثّر هذا الاتجاه في طريقةِ الشرح والترجمة في البدايات، حيث ركَّز المترجمون على تفسير الكلمات وتحليل الجُمل وضبطِ الإعراب. وفي المقابل، لم يهتموا كثيرًا بالجوانب الثقافية والاجتماعية والنفسية التي تُعبّر عن روح الشعر الجاهلي. وبهذا أصبحت المعلّقات تُقرأ بعيدًا عن زَمَنها وبِيئتها القبلية التي ظهرتْ فيها.

تحوّل الوظيفة الأدبية

عندما انتقلت المعلّقات من العالم العربي إلى أوروبا، تغيَّر دورُها بشكل واضح. ففي الثقافة العربية كانت هذه القصائد تُقرأ كنصوصٍ حيّة تُعبّر عن القِيَم والمشاعر والصراعات، وتمثّل جزءًا من ذاكرةِ المجتمع العربي القديم. أما في أوروبا، فأصبحت تُعامل غالبًا كنصوصٍ دراسيةٍ، تُستخدم أمثلةً لغوية لتعلُّم العربية، لا كتجارب إنسانية متكاملة.

وهذا التغيير أدّى إلى تقسيم القصيدة إلى أجزاء صغيرة؛ فأصبح البيتُ يُؤخذ وحْده بعيدًا عن سياقِه، وتُفصل القصيدة عن بنائها الفني الكامل. وكان الهدفُ من ذلك الاستشهاد ببيتٍ معيّن لِشرح قاعدة نحوية أو معنى كلمة. وبهذا فَقَدتْ المعلّقات كثيرًا من جمالِها ورمزيتها، وتراجعتْ موضوعات مثل الوقوف على الأطلال، والفروسية، والحرب، والحنين بوصفها تعبيرًا عن ثقافة كاملة، لتَحُلَّ محلَّها قراءة تقنية تركز على القواعد فقط.

وقد بلغ هذا الاتجاه ذرْوتَه في أعمال عدد من المستشرقين في القرن العشرين، ومنهم آرثر جون آربري، الذي قدّم بعض الباحثين نصوصًا وترجمات اهتمّت كثيرًا بالدقّة في اللغة والشرح الأكاديمي، أكثرَ من اهتمامها بنقل الإحساس الشعري أو توضيحِ الخلْفية الثقافية للقصيدة. ومع أن هذه الأعمال كانت

ذات قيمة علمية كبيرة، فإنها ساعدتْ على ترسيخ صورة المعلّقات كنصوصٍ تعليمية لغوية، لا كأعمالٍ أدبية حيّةٍ مليئةٍ بالمشاعر والمعاني.

لذلك يمكن القول إن انتقال المعلّقات إلى أوروبا لم يكن مجرد نقل عاديٍّ للنص، بل صاحبه تغيير في طريقة فهمه واستخدامه. فقد تحوّلت من قصائد تعبّر عن ثقافة عربية وتجربة إنسانية عميقة، إلى مادة دراسية تخدم أهدافًا لغوية وأكاديمية. وهذا التحوّل أثّر لفترة طويلة في نظرة بعض الدوائر الأوروبية إلى الأدب العربي.

آرثر جون آربري: الخلفية العلمية ودوره في تعليم الشعر العربي

الخلفية العلمية

آرثر جون آربري يُعَدّ من أشهر الباحثين البريطانيين في الدراسات العربية والإسلامية في القرن العشرين. وقد مثّل مرحلة متطورة في مسار الاستشراق الأوروبي. درس في جامعات بريطانية معروفة، وارتبط اسمه بمؤسسات أكاديمية مهمة، خاصة جامعة كامبرج، حيث عمل أستاذًا وأسهم في تعليم عدد كبير من الطلاب الذين تخصصوا في اللغة العربية وآدابها.

تميّز آربري بقدرتِه على الجمْع بين ثلاثة أمور أساسية:

- إتقان اللغة العربية الكلاسيكية
- ومعرفة واسعة بالتراث الأدبي الإسلامي
- خبرة طويلة في التدريس الجامعي.

كان آربري لم يكن مجرد لغويٍّ يهتم بالقواعد فقط، ولا ناقدًا أدبيًا يركز على الجمال وحْده، بل كان أستاذًا أكاديميًا يسعى إلى تقديم النصوص العربية بطريقة منظمة تُساعد القارئَ الأوروبيّ على فهْمها والتعامل معها بسهولة.

وقد ظهر هذا التوازن في طريقته في الترجمة وتحقيق النصوص؛ فقد كان يهتم بالدقَّة العلمية ويحاول أن يكون أمينًا للنص الأصلي، وفي الوقت نفسه يسعى إلى تبسيط الأسلوب ليسْهل فهْمه على طلاب الجامعات والقرّاء غير المتخصصين.

ولهذا السبب أصبحتْ كتبه مراجعَ أساسيةً في أقسام الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا وأمريكا لِسَنوات طويلة، واعتمد عليها كثيرٌ من الباحثين والطلاب في دراستهم.

اهتمامه بالشعر العربي :كان الشعر العربي جزءًا مهمًا من مشروع آرثر جون آربري العلمي. فقد رأى أنَّ الشعر هو أفضلُ طريقٍ لفهم روح اللغة العربية وجمالِ أسلوبها. وكان يعتقد أنَّ الإيقاع والصورَ البلاغية في الشعر تنقل إحساسًا بِجَمال العربية أكثرَ مما تنقله الكتب العلمية الجافَّة إلى القارئ الأوروبي.

ولكن اهتمامه بالشعر لم يكن فنّيًا فقط، بل كان له هدفٌ تعليميٌّ واضح. فقد استخدم الشعرَ العربي كنصوصٍ مناسبة للشرح داخلَ قاعات الدراسة، وكَمَادة لتعليم العربية الكلاسيكية. لذلك ركّز في شروحه على تفسير الكلمات الصعْبة، وتحليلِ الجمل، وبيان المعاني المباشرة. وفي المقابل، لم يهتمَّ كثيرًا بإعادة بناءِ الخلفية الثقافية والاجتماعية التي ظهر فيها النص الشعري.

ولهذا السبب، أخذت المعلّقاتُ مكانةً مهمةً في أعمال آرثر جون آربري. فقد رأى فيها أمثلة واضحة على الشعر الجاهلي من حيث قوة اللغة وثبات أسلوبها وغنى مفرداتِها. لذلك اختارها كَنُصُوصٍ تعليميةٍ تمثل ما يُعرف في الدراسات الغربية باسم "الشعر العربي القديم". وبهذا أصبحت المعلّقاتُ في الوعيِ الأكاديميّ الأوروبيّ نصوصًا أساسيةً تُدرَّس لِفَهم اللغة العربية، أكثرَ من كونها تعبيرًا عن تجربة ثقافية وتاريخية عميقة.

ومن هنا يمكن القول إنَّ دور آربري كان مهمًا جدًا في نقل الشعر العربي إلى أوروبا بطريقةٍ أكاديمية منظمة. فقد ساعد في نشره وتعريف القُرّاء به، لكنه في الوقت نفسه غيّر طريقَة فهمه، إذ قدّمَه كَنَصٍّ دراسيٍّ ومنهجي. وهذا ترك تأثيرًا كبيرًا على أسلوب تدريس الأدب العربي في الجامعات الغربية طوال القرن العشرين.

منهج آربري في ترجمة المعلّقات

اتبع آرثر جون آربري في ترجمته للمعلّقات طريقة يمكن وصفها بـ **التبسيط المنظَّم** .فقد حاول أن يوازِن بين الدقّة في نقل المعنى، وسهولة الأسلوب في اللغة الإنجليزية.

لم يكنْ هدفه أن يقدِّم ترجمةً حرفيةً تلتزم بكلِّ تفاصيل النص العربي وإشاراته الثقافية والبلاغية، بل أراد أن يكتبَ نصًا إنجليزيًا واضحًا ومترابطًا، يستطيع الطالب والقارئ الأوروبي غير المتخصص أن يقرأه ويفهمه بسهولة.

الترجمة بوصفها إعادة صياغة تعليمية

بسبب عمله أستاذًا جامعيًا، نظر آرثر جون آربري إلى المعلّقات على أنها نصوصٌ مفيدةٌ للتعليم قبل أن تكون نصوصًا ثقافية عميقةً. لذلك جاءتْ ترجماتُه أقربَ إلى الشرح وإعادة الصياغة، لا إلى الترجمة الحرفية الدقيقة.

كان يركّز على الفكرة العامة في البيت الشعري، ثم يُعيد كتابتها بلغة إنجليزية سهلة وواضحة. وأحيانًا كان يختصر بعض التفاصيل أو يجمع أكثر من صورة شعرية في صورة واحدة أبسط، حتى يجعل النص أسهل للقارئ.

هذه الطريقة جعلت الترجمةَ واضحةً وسهلة الفهم، لكنها في الوقت نفسه قلّلتْ من بعض خصائص القصيدة الأصلية. فقد خفَّ الإيقاع العربي، وأصبحتْ الصور الشعرية أقلَّ كثافةٍ، لأن الهدف كان الوضوح والانسجام في اللغة الإنجليزية أكثر من الحفاظ على كل تفاصيل الأسلوب العربي.

التعامل مع الصور الشعرية والثقافية

ظهر أسلوب آرثر جون آربري بوضوحٍ عند ترجمته لِلصُّور الشعرية الصعْبة في المعلّقات، خاصةً الصور المرتبطة بالصحراء والحياة القبلية. فموضوعات؛ مثل الناقة، والأطلال، والرحلة في الصحراء، والحرب والفروسية، وهي عناصر أساسية في هذه القصائد، لم تُقدَّم دائمًا بوصفها رموزًا ثقافية عميقة، بل عُرضتْ غالبًا بطريقة عامة تجعلها أسهل فهمًا للقارئ الغربي.

كان هدفه أن يتجنب الشرح الطويل أو الدخول في تفاصيل ثقافية قد تكون بعيدة عن خبرة القارئ الأوروبي. لكن هذا الاختيار أدّى إلى فقدان جزء من المعنى الرمزي للنص. فتحوّلت الصورة من تعبير عن تجربة عربية خاصة وعميقة، إلى صورة شعرية عامة يمكن أن توجد في أي أدب آخر.

الأسلوب الإنجليزي والذائقة الغربية

كانت لغة آرثر جون آربري في ترجمته تميل إلى الأسلوب الشعري المعروف في الأدب الإنجليزي الكلاسيكي. فقد استخدم عبارات قوية ومنظمة، وإيقاعًا هادئًا، وأسلوبًا يشبه الشعر التأملي. وهذا جعل المعلّقات في نسختها الإنجليزية قريبة من ذوق القارئ الأوروبي، وسهّل إدخالها في مقررات الأدب المقارن أو الدراسات الشرقية.

لكن هذا الأسلوب الجميل غيّر مكان النص الثقافي. فقد بدَتْ المعلّقات في ترجمة آربري وكأنها جزء من تقليد شعري غربي، لا من بيئتها العربية الجاهلية الأصلية. وهكذا تحوّلت من قصائد تعبّر عن ثقافة محددة، إلى نصوص شعرية عامة يمكن قراءتها داخل ثقافة أخرى بسهولة.

تقييم عام للمنهج

يمكن القول إن طريقة آرثر جون آربري في ترجمة المعلّقات نجحتْ بشكل كبير من الناحية التعليمية. فقد ساعدتْ على تعريف القارئ الأوروبي بالشعر الجاهلي، وفتحتْ المجالَ للاهتمام بالأدب العربي الكلاسيكي داخلَ الجامعات.

لكن هذا النجاح لم يكن كاملًا من الناحية الثقافية. فَمَعَ سعْيه إلى الوضوح واستخدامِ أسلوبٍ قريبٍ من الأدب الغربي، قلَّ حضور الخصوصية العربية في النص المترجم. وهكذا مثّلت ترجمات آربري

مرحلة مهمّة في تاريخ نقل المعلّقات إلى اللغات الأوروبية؛ مرحلة ركّزت على التبسيط والتعليم، أكثر من تركيزها على الحفاظ الدقيق على الهوية الثقافية والجمالية للنص العربي الأصلي.

المعلّقات بين الترجمة والتعليم: صناعة صورة الشعر العربي في أوروبا

من العمل الأدبي إلى النص التعليمي

أدّى الجمع بين الترجمة والتدريس الجامعي في أعمال آرثر جون آربري إلى تغييرٍ واضح في مكانة المعلّقات داخل أوروبا. ففي بيئتها العربية الأصلية كانت هذه القصائد جزءًا من ثقافة محددة، تعبّر عن تاريخ المجتمع ومشاعره وقيمه وجمالياته. أمّا في أوروبا، فقد أصبحتْ مع الوقت نصوصًا تعليمية تُستخدم كَنَماذج أساسية لما يُسمّى بالشعر العربي القديم.

ومع إدخالها في مناهج الجامعات، صارت المعلّقاتُ الطريقَ الرئيسي الذي يتعرّف من خلاله الطلاب على الأدب العربي. وهكذا لم تعد مجرد قصائد من تراث واسع ومتنوّع، بل تحوّلت إلى صورة أساسية يُنظر من خلالها إلى الشعر العربي كله، وكأنه نوع واحد متشابه.

القراءة الواحدة وسيطرة رؤية المترجم

أدّى استخدام المعلّقات في التعليم إلى ظهور قراءة شبه واحدة لهذه القصائد. فقد ركّزت الترجماتُ والشروح على شرح الكلمات، وبيان المعنى العام، وتوضيح شكل القصيدة، بينما لم يُعْطَ اهتمام كافٍ للخلفية الاجتماعية والثقافية التي ظهرتْ فيها. كما غابت أسئلة مهمة عن حياة القبيلة، وطبيعة الصحراء، ودور الشعر في المجتمع الجاهلي، ومكانة الشاعر كصوت مؤثر في قومه.

وبذلك تعرّف الطالب الأوروبي إلى المعلّقات من خلال منظورٍ واحد، هو منظور المترجم الذي كان في الوقت نفسه أستاذًا ومفسّرًا. وهذا الجمع بين الترجمة والتعليم منح آربري سلطةً أكبر، لأنه لم يقدّم النص فقط، بل وجّه أيضًا طريقة فهمه داخل قاعة الدرس. ومع مرور الوقت، أصبحت هذه الطريقة في القراءة تُعدّ القراءة المعتمدة أو الأكثر قبولًا للمعلّقات.

تقليل تنوّع الشعر العربي

هذا الأسلوب أدّى إلى تقليل صورة التنوّع الكبير في الشعر العربي. فبدل أن يُعرض الأدب العربي على أنه تراث واسع يمتدُّ من العصر الجاهلي إلى العصور الإسلامية المختلفة، ويضمُّ أساليب وموضوعات كثيرة، تمَّ التركيز على عدد قليل من القصائد الجاهلية، وخاصة المعلّقات.

وبسبب ذلك، تكوّنت في الذهن الأوروبي صورة محدودة عن الشعر العربي، كأنه شعر قبليٌّ ثابت يدور حول الحرب، والفخر، والغزل، ووصف الصحراء فقط. وغاب عن هذه الصورة تطوّر الشعر

في العصور الأموية والعباسية والأندلسية وغيرها. كما لم يُعطَ اهتمام كافٍ لأنواع أخرى من الشعر، مثل شعر الزهد، والتصوف، والغزل الحضري، والشعر الفلسفي، حيث تم تقديم نموذج واحد على أنه يمثل الشعر العربي كله.

تشكيل صورة ثقافية عن الأدب العربي

لم يكن هذا التغيّر مجرد مسألة تتعلق بالتعليم فقط، بل ساعد في تكوين صورة ثقافية عن الشعر العربي في أوروبا. فقد تعرّفت أجيال من الطلاب الأوروبيين إلى الأدب العربي من خلال المعلّقات المترجَمة التي دُرِّست في الجامعات، مع ما رافقها من تبسيط وتنظيم أكاديمي. ونتيجة لذلك، بدأ البعض ينظر إلى الشعر العربي كأنه تراث ثابت مرتبط بفترة تاريخية واحدة، لا كتقليد أدبي حيّ تطوّر عبر العصور.

لذلك يمكن القول إن الجمع بين الترجمة والتدريس في أعمال آرثر جون آربري كان له جانب إيجابي وجانب آخر محدود. فقد ساعد على تعريف أوروبا بالشعر العربي وإدخاله إلى الجامعات، لكنه في الوقت نفسه ساهم في تقليل تنوّعه وحصره في نموذج واحد ظلّ مؤثرًا في النظرة الأوروبية لفترة طويلة.

قراءة نقدية لأثر آربري في الوعي الأوروبي

الإسهام الإيجابي في نشر الشعر العربي

لا يمكن الحديث عن تجربة آرثر جون آربري في ترجمة الشعر العربي من غير الاعتراف بدَورِه المهِم في تعريف القارئ الأوروبي بالأدب العربي. فقد ظهرتْ ترجماتُه في وقتٍ كان الوصول إلى النصوص العربية صعْبًا بسبب الحواجز اللغوية والثقافية. لذلك ساعدتْ أعماله في تخفيف هذه الصعوبات، وجعلت الشعر العربي الكلاسيكي متاحًا لعددٍ كبير من القرّاء والطلاب.

كما تميّزت ترجماته بِلُغة إنجليزية قوية وجميلة، مما أعطى النصوصَ العربية مكانةً أدبية محترمة داخل الثقافة الغربية. فلم تعد تُنظر إليها كنصوص غريبة أو بعيدة، بل أصبحت تُقرأ وتُقارن بآداب أخرى معروفة. إضافة إلى ذلك، ساعد آربري في إدخال الشعر العربي إلى المناهج الجامعية، وجعل دراسته جزءًا من البرامج الأكاديمية في أقسام الدراسات الشرقية والأدب المقارن.

الإطار التعليمي وتأثيره على البعد الثقافي

رغم أهمية دور آرثر جون آربري، فإنَّ عمَله كان مرتبطًا بإطارٍ تعليميٍّ محدد. فقد فرضت طبيعة التدريس الجامعي عليه أن يختار أسلوبًا يعتمد على الوضوح والتبسيط، حتى يكون النص سهل الفهم للطلاب. ولهذا ركّز أكثر على شرح اللغة وتسهيل المعاني، بدل نقل العمق الثقافي والتجربة التاريخية الكاملة التي يحملها النص العربي.

وبسبب هذا التوجّه، عُرضت المعلّقات غالبًا كنصوصٍ تعليمية لتعلّم العربية الكلاسيكية، أكثرَ من كونها أعمالًا أدبية تعبّر عن ثقافة كاملة. كما تمَّ إهمال جوانب مُهِمة لِفهم الشعر الجاهلي، مثل دور الشاعر في قبيلته، ووظيفة الشعر في المجتمع، ومعاني الصور المرتبطة بالصحراء والحياة القبلية. وهكذا غابت الخلفية التاريخية، وأصبحت القصيدة تُقرأ كنص منفصل عن سياقه الأصلي، يركّز على اللغة والمعنى الظاهر فقط.

الشعر العربي داخل أفق ثقافي غربي

تُظهر هذه القراءة النقدية أن الشعر العربي، حتى في ترجمات آرثر جون آربري التي اتسمت بالاحترام والتقدير للنص الأصلي، ظلّ يتحرك داخل إطار ثقافي غربي يحدّد طريقة الاختيار والشرح والتقديم. فما كان يُترجَم ويُدرَّس غالبًا هو ما يناسب الذوق الأكاديمي الأوروبي ومتطلبات التعليم الجامعي، بينما لم تحظَ نصوص وتجارب أخرى بالاهتمام نفسه إذا لم تنسجم مع هذا الإطار.

وبسبب ذلك، تكوّنت في الوعي الأوروبي صورة للشعر العربي على أنه تراث لغوي قديم، جميل في شكله، لكنه محدود من حيث التنوع التاريخي والثقافي. ولم يُنظر إليه كتقليد أدبي حيّ تطوّر عبر العصور، بل كمجموعة نصوص ثابتة تُدرس من منظور خارجي. وهذا لا ينقص من قيمة عمل آربري، لكنه يساعد على فهمه ضمن سياقه العلمي والثقافي، ويبيّن الحاجة إلى ترجمات وقراءات جديدة تعيد الاهتمام بالجوانب التاريخية والثقافية التي لم تحظَ بالتركيز الكافي في المرحلة الأولى من استقبال الأدب العربي في أوروبا.

خلاصة نقدية

يمكن في النهاية القول إن تأثير آرثر جون آربري في الوعي الأوروبي كان ذا جانبين. فمنْ جهة، ساعد في فتح الباب أمام التعرّف على الشعر العربي، ومَنَحَه مكانةً واضحة في الجامعات والدوائر الأدبية. ومن جهةٍ أخرى، وبسبب دوره الأكاديمي، ساهم في تثبيت طريقة قراءة تعليمية محددة، جعلت فهم النص العربي أقل انفتاحًا على تعدد معانيه وسياقاته الثقافية.

لذلك تبرز اليوم أهمية إعادة النظر في أعماله النقدية والترجمية، ليس من أجل رفضها أو التقليل من قيمتها، بل من أجل تطويرها والبناء عليها. فالهدف هو الوصول إلى فهم أعمق وأكثر توازنًا للأدب العربي، مع مراعاة سياقه التاريخي والثقافي ضمن الإطار العالمي.

النتائج

توصّلت هذه المقالة إلى عدة نتائج مهمة، منها:

1. المعلّقات هي قصائد عربية قديمةٌ مهمة، لكنها عندما وصلت إلى أوروبا تغيّرت طريقة فهمها.
2. آرثر جون آربري لعب دورًا كبيرًا في تعريف الأوروبيين بهذه القصائد من خلال الترجمة والتعليم.

3. استخدمت المعلّقات في الجامعات الأوروبية لتعليم اللغة العربية أكثر من فهم ثقافتها.
4. الترجمة جعلت القصائد أسهل للطلاب، لكنها أحيانًا أبعدتها عن معناها الثقافي الأصلي.
5. تعلّم كثير من الأوروبيين عن الشعر العربي من خلال المعلّقات فقط، وليس من خلال أنواع شعرية أخرى.
6. لذلك، تكوّنت صورة غير كاملة عن الشعر العربي في أوروبا.

الهوامش

1. البيان والتبيين ، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ،القاهرة: مكتبة الخانجي، 1968.
2. الشعر والشعراء ، ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر،القاهرة: دار المعارف، 1966.
3. المعلّقات العشر: شرح ودراسة، حسين نصار، القاهرة: دار المعارف، 1980.
4. مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ناصر الدين الأسد، القاهرة: دار المعارف، 1962.
5. العصر الجاهلي، شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، 1960.

English Sources

6. The Seven Odes: The First Chapter in Arabic Literature, A. J. Arberry (London: George Allen & Unwin, 1957).
7. Arabic Poetry: A Primer for Students, A. J. Arberry (Cambridge: Cambridge University Press, 1965).
8. The Koran Interpreted, A. J. Arberry (London: George Allen & Unwin, 1955).
9. "Arberry, Arthur John" (Encyclopaedia of Islam, 2nd ed.) , C. Edmund Bosworth (Leiden: Brill, 1960–2005).
10. Classical Arabic Biography: The Heirs of the Prophets in the Age of al-Ma'mun – Michael Cooperson (Cambridge: Cambridge University Press, 2000).
11. Arabic Literature: An Introduction, Hamilton A. R. Gibb (Oxford: Clarendon Press, 1963).
12. Islamic History: A Framework for Inquiry, R. S. Humphreys (Princeton: Princeton University Press, 1991).
13. For Lust of Knowing: The Orientalists and Their Enemies, Robert Irwin (London: Allen Lane, 2006).
14. Islam and the West, Bernard Lewis (New York: Oxford University Press, 1993).
15. A Literary History of the Arabs, Reynold A. Nicholson (Cambridge: Cambridge University Press, 1907).
16. Orientalism, Edward W. Said (New York: Pantheon Books, 1978).
17. The Mute Immortals Speak: Pre-Islamic Poetry and the Poetics of Ritual, Jaroslav Stetkevych (Ithaca: Cornell University Press, 1993).
18. The Poetics of Islamic Legitimacy: Myth, Gender, and Ceremony in the Classical Arabic Ode, Suzanne Pinckney Stetkevych (Bloomington: Indiana University Press, 2002)